أولا ـ المدرسة الإسلامية:

المدخل المنهجي الإسلامي: هو تصور اعتقادي يأخذ من العقيدة الإسلامية منطقا ومرجعا لتحليل السلوك الإنساني والحياة الاجتماعية ويفسر بمقتضاها وفي إطارها الظواهر المجتمعية.

"إن المذهبية الإسلامية تقرر أن الحقيقة العلمية ليست حكرا على التجربة، وأن الوجود الواقعي ليس حكرا على الوجود المادي، وأن التزام الأسلوب العلمي في دراسة الظواهر الاجتماعية لا يتحول بالضرورة إلى اعتقاد في العلم كطريق وحيد مشروع ورفض ما عداه من الطرق.

وللمنهجية من منظور إسلامي أداتان لا ثالثة لها، هما: العقل والحس، وليس ثمة طريقة لعمل الحس دون عمل العقل، وليس ثمة وسيلة للعقل في أن يمارس عمله خارج إطار الواقع المحسوس.

وتقابل هذه النظرة الكلّيّة الشاملة للإنسان نظريّات انشطاريّة، تركّز في مفهومها للإنسان وفي اهتمامها بهذا الإنسان على جانب أو شطر معيّن من شخصيّته، فتركّز على الجانب الجسميّ أو المادّيّ كما هو الحال عند المادّيّين والحسّيّين، أو تركّز على الجانب العقلي فيه كما هو الحال عند العقليّين أو تركّز على الجانب الروحيّ كما هو الحال عند الروحيّين .

إن من المعلوم أن هناك اتفاقا يشبه الإجماع بين المهتمين بالإصلاح العلوم الاجتماعية والمهتمين بالعمل على زيادة فاعليتها من خلال إعادة صياغتها في ضوء التصور الإسلامي على أمور ثلاث:

-أن مناهج العلوم الاجتماعية الحديثة ونظرياتها، والمسلمات الأساسية التي تقوم عليها تلك العلوم في صورتها الراهنة، تتضمن كثيرا مما يتعارض أو يتناقض مع التصور الإسلامي الصحيح للإنسان والمجتمع والوجود.

-أنه قد ترتب على هذا القصور والاختلال الابستيمولوجي عجز تلك العلوم عن التوصل إلى تفسيرات مُرضية للسلوك الفردي أو للظواهر الاجتماعية لا في المجتمعات الإسلامية وحدها وإنما في غيرها من المجتمعات كذلك.

-أن هناك حاجة ماسة إلى إعادة النظر في تلك المناهج والنظريات والمسلمات بطريقة جذرية.

مواقف أصحاب الاجتهادات في الموضوع (التأصيل الإسلامي للمعلوم الاجتماعية):

الاتجاه الأول: اتخاذ العلوم الشرعية أنموذجا للتأصيل:

يرون أن التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية إنما هو في جوهره رجوع إلى المصادر الشرعية (ويلاحظ أن من يتخذون هذا الموقف في صورته النقية قد يصلون إلى رفض التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية أصلا ولا يرون لهذه العلوم أي مشروعية في الوجود) .

الاتجاه الثاني: الانطلاق من أنموذج العلوم الاجتماعية الحديثة:

بينما نجد من المقتربين من الطرف المقابل يرون أن الأصل أننا نريد تأصيلا إسلاميا "لعلوم اجتماعية" قائمة بالفعل ولها مصداقيتها وتأثيرها، فهي محور الارتكاز الذي نعتمد عليه وننطلق منه، والذي يكفى في إصلاحه استبعاد ما خالف الشريعة من نتائج أو نظريات توصلت إليها تلك العلوم (وبطبيعة الحال فإن أصحاب الصورة النقية لهذا الاتجاه يكادون يرفضون كذلك التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية ويرون أن نتائج هذه العلوم بصورتها الراهنة هي محصلة لتطبيق منهج علمي رصين لا يمكن التشكيك في قيمته ولا يحتاج تعديلا أو إصلاحا).

لقد توفّر للمسلمين منذ القدم الأسلوب العلمي والمنطقي في البحث، خاصّة في مجال العلوم الطبيعيّة والكيمياء، والطب والصيدلة والعلوم الكونيّة، فللعلم خصائص واضحة في القرآن الكريم ومنها استناده على الإثبات والبراهين والأدلة.

ويُعتبر **الفارابي** من المتقدّمين في تاريخ تقدّم الفكر، ومن أبرز علماء العرب الذين حاولوا أن يؤسّسوا منهجًا لعلم الاجتماع، وعلى الرغم من أنّه تأثّر بفكر **أرسطو** و**أفلاطون**، إلّا أنّه حاول أن يدمج كلّ ذلك بالفكر الإسلامي من خلال كتابه المشهور" أراء أهل المدينة الفاضلة"، الذي أقرّ فيه عن بداية الاهتمام بالحاجة الإنسانية إلى الاجتماع والتعاون، بمعنى أنّ اجتماع الإنسان بأخيه الإنسان هو ضرورة فطريّة واجتماعيّة، فعندما يتمّ الاجتماع يتحقّق التعاون من خلال تقسيم العمل الاجتماعي على أقوام تختصّ كلّ فئة بحرفة أو مهنة معيّنة، ومن ثمّ يتحقّق التكامل.

ثم ابن خلدون، مثل سابقيه الموسوعيين العظماء، الذين نبغوا في أكثر من تخصص، وكانوا قادرين على المزج بين العلوم الشرعية، والإنسانية، والطبيعية، ويرونها كلها ـ إذا صلحت النية والهدف ـ علوما إسلامية، وتسمى فلسفة التاريخ عند ابن خلدون بـ" الخلدونية" وهي : (نظرية جديدة مستقلة، لكنها قد تلتقي مع بعض الفلسفات الحديثة: كفلسفة هيجل، وماركس.

كان ابن خلدون، وهو يتحدث في الفكر التاريخي، أو العمراني، أو السياسي يعتمد على القرآن والسنة، وقصص الأنبياء، اعتمادا مباشرا، وتحدث عن الرسول صلى الله عليه وسلم (باعتباره النموذج الأعلى لتطبيق شريعة الإسلام، التي يدعو إليها ابن خلدون، ويعمل على بيان جدارتها، وأحقيتها وحدها، للتطبيق على المجتمع الإنساني.

المدرسة الوضعية positivism:

المدرسة الوضعية (المذهب الطبيعي – الامبريقي – السلوكي):

أساسها الفكر الوضعي القائم على القيم والفلسفة النابعة من واقع الحياة والمعاش، والمرتكز على ما هو طبيعي محسوس عيني وجودي لا على ما هو غيبي ورائي ومثالي.

فالوضعية تسعى إلى وصف وتحليل الظواهر في إطار وجودها كأمر واقع دون محاولة تغيير هذا الواقع.

ترجع بداية المدرسة الوضعية إلى "**أوجست كونت**" في القرن التاسع عشر، واستمدت قواعدها وتصوراتها النظرية المتعلقة بالموضوع والمنهج من البيولوجيا، فعلى **مستوى الموضوع** اعتمدت المدرسة الوضعية نموذج التطور البيولوجي، متخذة منه إطارا نظريا في دراسة التطور المجتمعي، وسعت إثر ذلك إلى الكشف عن قوانين التطور بأسره، **وعلى مستوى المنهج** وبالرغم من أن أنصار المدرسة الوضعية أقروا بأهمية التجربة، إلا أنهم عجزوا عن ابتكار نموذج تجريبي يمكن تطبيقه على الوقائع المجتمعية، ومقابل ذلك كانت المقارنة بمثابة البديل المنهجي للتجربة، خاصة أن المقارنة حقق استخدامها نجاحا بالغا في تقدم العلوم البيولوجية.

أوجست كونت Auguste Comte(1798 ـ 1857):

هو فيلسوف اجتماعي فرنسي، وعالم اجتماع، ويعتبره الكثيرون المؤسس الفعلي لعلم الاجتماع، وهو مبدع كلمة سوسيولوجيا، جاءت أفكاره متفقة مع أستاذه " **سان سيمون**" ، ولقد دعا كل منهما إلى أهمية وجود علم مستقل عن الفيزياء الطبيعية، يهتم بدراسة الحياة الاجتماعية والعمل على اكتشاف القوانين الاجتماعية، التي يمكن استخدامها في دراسة الظواهر والمشكلات والقضايا الواقعية (ولكن بعد هذه فترة انفصل كونت عن أستاذه، وبدأ يهاجم كل منهما الآخر) ، ويعتبر **كونت** استقرائيا من خلال دعوته إلى ملاحظة الظواهر واكتشاف القوانين، ورفضه الأنساق الميتافيزيقية للفلاسفة.

من أهم مؤلفاته:

- **أسس الفلسفة الوضعية، مذهب السياسة الوضعية ، نظرة على الوضعية، موجز الوضع**

وقد كتب كونت يقول" وأعني بالفيزياء الاجتماعية ذلك العلم الذي يتخذ من الظواهر الاجتماعية موضوعا لدراسته باعتبار أن هذه الظواهر من نفس روح الظواهر الفلكية والطبيعية والكيماوية والفسيولوجية من حيث كونها موضعا للقوانين الطبيعية الثابتة.

الأسس المنهجية التي تقوم عليها الدراسات الاجتماعية:

يعد القرن التاسع عشر قرن التأسيس العلمي للدراسات الاجتماعية، حيث أسس كونت المدرسة الوضعية التي كانت تدعو إلى ضرورة دراسة المجتمع باستخدام نفس الأساليب المستخدمة في العلوم الطبيعية، وتغطي كافة المنظورات التي تتبنى الدعاوى التالية:

1. أن الحقيقة تنحصر في كل ما هو متاح أمام إدراك الحواس.
2. أن العلوم الطبيعية والاجتماعية تشترك في أساس منطقي ومنهجي واحد.
3. أن ثمة فرقا جوهريا بين الواقع والقيمة، فالعلم يتعامل مع الواقع (المحسوس)، بينما تعكس القيمة نظاما للظواهر يتميز باختلافه التام وخروجه عن نطاق العلم.

وتعترف الوضعية بشكلين اثنين فقط من أشكال المعرفة، باعتبارهما يحظيان بالشرعية والنفوذ الفكري، وهما:

- **الشكل الامبريقي:** وتمثله العلوم، والذي نسبت له الأهمية الكبرى، استلهم الشكل الامبريقي مبادئه من التراث الفلسفي الذي مؤداه أن كل أفكارنا تنبثق من الخبرة ـ **Experience** ـ ومصدرها الخبرة الحسية، وأي فكرة لا تكون مستقاة من تلك الخبرة ليست بالفكرة الجديرة بالاهتمام.
- **والشكل المنطقي:** ويعكسه المنطق وتشاركه الرياضيات في ذلك.

وتتلخص الأسس المنهجية التي تقوم عليها الدراسات الاجتماعية عند "**إيمل دوركايم**"[1] كأحد رواد المدرسة الوضعية في المسلمات الآتية:

- إن هناك وحدة في الطبيعة.
- إن الظواهر الاجتماعية جزء من العالم الموضوعي أو هي واقعية
- إن هذه الظواهر تخضع لقوانين ومبادئ خاصة هي قوانين طبيعية ومن ثم فهي تخضع للبحث العلمي الذي يجب بدوره أن يسترشد بمجموعة قواعد متعددة.

–اعتبار الإحساس وحده مصدرا للمعرفة الاجتماعية، بالإضافة إلى اعتبار النموذج الطبيعي سلطة مرجعية للعلوم الإنسانية، وإخضاع الظواهر الاجتماعية للتجريب، ويعتبر دوركايم الظواهر الاجتماعية على أنها أشياء خارجة عن ذواتنا وهو يقول: "إن الظواهر الاجتماعية "**أشياء**" ويجب أن تدرس على أنها أشياء".

ولقد كان من أخطر نتائج الأخذ بالنموذج الطبيعي، أنه تم توحيد الظاهرة الإنسانية والاجتماعية بالطبيعة فسادت "واحدية العلوم"، التي سعى دعاتها إلى فصل النشاطات الإنسانية عن كل المعايير الأخلاقية، حتى لم يعد هناك فرق بين الإنسان والطبيعة/المادة، بل أصبح جزءا منها ويخضع لقوانينها وبذلك يخضع لسماتها ويقبل بالقياس الكمي الدقيق والقابلية للتقنين، وكان من نتائج ذلك، اختزال الظواهر الإنسانية في جوانبها الحسية والفيزيقية، حتى لم يعد هناك فرق بين الظواهر الإنسانية والطبيعية.

---

[1] ـ **Emile Durkheim ايميل دوركايم (1858 ـ 1917)**: فيلسوف وعالم اجتماع فرنسي، أحد مؤسسي علم الاجتماع الحديث، تتلمذ على أيدي أوجست كونت، وسان سيمون، كرس اهتمامه في علم الاجتماع بدراسة التربية والدين والقانون، أسس عام 1898حولية علم الاجتماع L'année Sociologique، من أهم مؤلفاته: تقسيم العمل، قواعد المنهج في علم الاجتماع، الانتحار، الفرد والحياة الجمعية.

ولقد رفض كثير من العلماء الغربيين فكرة "واحدية العلوم"، وأصروا على التمييز بين الظواهر الطبيعية والإنسانية موضوعا ومنهجا، أمثال "**ديثلي**"Wilhem,Dilthey وغيره من أنصار " الهرمينوطيقا الذين ناهضوا النزعة الوضعية.

المنهج الوضعي في فهم المجتمع:

إذا كانت المعرفة الوضعية تؤمن باستحالة الوصول إلى الحقائق المطلقة، وتؤكد على مبدأ النسبية، فهي لذلك تولي عناية كبيرة لاكتشاف القوانين، ومن ثم الوصول إلى المعرفة الوضعية، وهذه الأخيرة لن تتحقق إلا عن طريق المنهج الوضعي الذي تحدده أربعة إجراءات منهجية أساسية للبحث هي:

1. **الملاحظة:** " وتقتصر على استخدام الحواس الفيزيائية".
2. **التجربة:** وهي التجربة الاجتماعية التي تتم من خلال مقارنة ظاهرتين متشابهتين في كل شيء ومختلفتين في شيء جزئي واحد.
3. **المنهج المقارن:** وتتم المقارنة أفقيا وعموديا، وهي تكتسي أهمية كبيرة بالنسبة للدراسات الاجتماعية؛ حيث يمكن عقد مقارنات بين المجتمعات الحيوانية والإنسانية، أو بين المجتمعات التي تعيش زمنا بعينه، أو بين الطبقات الاجتماعية داخل المجتمع الواحد.
4. **المنهج التاريخي:** وهو أهم الإجراءات جميعها، حتى أن كونت يسميه المنهج السامي؛ وينحصر في تقصي القوانين العامة للتغير المستمر في الفكر الإنساني، وليس الاقتصار على مجرد سرد الأحداث فقط.

وهذا ما ظهر بوضوح، في معالجاته السوسيولوجية المتميزة مثل معالجته لقانون المراحل الثلاث **Law of Three Stages**، ومحاولته لوضع نظرية عن التقدم الطبيعي **Natural progress** للمجتمع الإنساني تلك الفكرة التي سادت أوروبا في القرن التاسع عشر والممثلة في فكرة النشوء والتطور.

قانون الحالات الثلاث Law of Three Stages :

1) فالحالة الأولى يسميها كونت الحالة اللاهوتية أو التخيلية **The Theological stage**.
2) ويسمي الثانية الميتافيزيقية أو التجريدية **The Metaphsical stage** .
3) ويسمي الثالثة بالمرحلة العلمية، أو الوضعية **The positive stage** .

وهذه المراحل أعتبرها **مناهج** إلا أنه استقر على المرحلة الأخيرة واعتبرها **منهج علمي**، هذا المنهج الذي يساعد على التطور، وهو منهج نموذجي ويعتبر بالمقابل المنهج الميتافيزيقي مجرد نموذج

عبور إلى العلمي، يرتب كونت الحالات على مراحلها إذ عرف الفكر البشري **أولا المنهج الغيبي** إذ كان الإنسان يرد العلل إلى قوى فوق طبيعية كثيرة تتدخل في تسيير العالم، فكانت الأشياء والحوادث مرتبطة بها ويتم البحث عنها خارجا وفق ذلك المنهج، **ثانيا** ومع مرور الزمن تغير المنهج الأول من القوى فوق طبيعية إلى القوى المجردة ينسب إليها حدوث الأشياء لأنها مرتبطة بمختلف موجودات العالم، **ثالثا** فقد هجر الإنسان المناهج والطرق السابقة في التفكير وصب جل اهتمامه في البحث واكتشاف القوانين التي تعمل على حدوث الظواهر والعلاقات القائمة بينها وتفسيرها ودراستها اعتمادا على الملاحظة وإعمالا لجهد العقل من خلال التجربة التي عرّفت الإنسان عن الطاقة التي يمتلكها والقوة التي بحوزته، وعرفته على وحدة قوانين الطبيعة.

أهم الانتقادات التي وجهت للمدرسة الوضعية:

-رفض التعامل مع الظواهر الإنسانية كأشياء مجردة.

- يظهر القصور أو الضعف عند تطبيق المذهب الوضعي على ما يتعلّق بالحياة الاجتماعيّة الإنسانية، لذلك كان على المذهب الوضعي أن يتجاوز مشكلة التمييز بين ما هو إنسانيّ وما هو مادّي.

-اختزال كلّ ما هو إنسانيّ إلى مجموعة من المظاهر ذات الطبيعة المادّيّة، وفي هذه الحالة تتحوّل الحياة الإنسانية إلى فرع من الكيمياء أو البيولوجيا أو إلى علم النفس السلوكي .

الوضعية المحدثة:

الوضعية المحدثة هي اتجاه نظري في علم الاجتماع، يعود أول استعمال لها كمصطلح بهذه التسمية إلى "**تيكولا تيماشيف**"، وقد جاء استخدام صفة "**المحدثة**" أو "**الجديدة**" لتوضيح مدى التشابه والاختلاف عن وضعية "أوغست كونت" والتي تعرف بالوضعية الكلاسيكية أو التقليدية، والملاحظ أن استعمال الوضعية المحدثة لم يحظ بنفس الانتشار الواسع الذي لقيته الوضعية الكلاسيكية، حتى أنه عند أي استعمال لكلمة الوضعية تتبادر إلى الذهن مباشرة وضعية "كونت" أساسا، ونظرا للانتشار الواسع لهذه الأخيرة على حساب الوضعية المحدثة، فقد ساد استعمال مصطلح "علم اجتماع الرياضي" أو الاتجاه الرياضي في علم الاجتماع كمرادف للوضعية المحدثة عوضا عن ذلك.

تعود ركائز النزعة الوضعيّة المُحدَثة بعد انهيار المذهب التطوّري إلى ما يتصوّره الوضعيّون الجدد بأنّ مناهج العلم الطبيعي مناسبة لدراسة الظاهرة الاجتماعيّة، حيث تشكلت الوضعية المحدثة من خلال التأليف بين عناصر ومنطلقات نظرية تتمثل فيما يلي:

1) **النزعة الكمّيّة:** وهي التي تعتمد على منهج العد والقياس أساسا في دراستها، وتدعو إلى ضرورة تعميم هذا المنهج على مختلف مجالات العلم.
2) **النزعة السلوكيّة:** وهي التي تستند على أفكار عالم النفس الروسي الشهير "إيفان بافلوف، وتعتقد أن الشعور لا يمكن معرفته موضوعيا، أي لا يمكن أن نطبق عليه المنهج العلمي الطبيعي.
3) **الابستمولوجيا الوضعية وتستمد جذورها من الفلسفة البراغماتية الأمريكية (النفعيّة** هي بمثابة خبرة يعبر عنها بمفهوم العلية، وحين نتمكن من التوصل إلى عدد من الانتظامات في هذه الانطباعات الحسية، عندها فقد نستطيع التحدث عن القوانين.

إن الوضعية المحدثة تؤكد على أن معرفتنا عن العالم تأتي عن طريق العلوم التجريبية وحدها، وذلك بالاستناد إلى تلك المبادئ المتعلقة باستخدام الطرق الكمية وبالاستناد على مبدأين أساسيين، هما:

1) **مبدأ التحقق:** والذي نتحرى أو نختبر بواسطته صدق أو كذب الفرضيات عن طريق عدد محدد من الأحكام والملاحظات المدعمة بالأرقام، والتي يمكن الحصول عليها (الأرقام)، بالتجربة الحسية.
2) **مبدأ الإجرائية:** والذي يعني أن كل المعرفة ترجع إلى مجموعة من الإجراءات (العمليات) التي يقوم بها الإنسان خلال نشاطه، فلا يمكن معرفة أهمية ومعنى أي مفهوم ما لم نضع إجراءات نتمكن بواسطتها من قياس الظواهر التي يعبر عنها ذلك المفهوم.

أوجه الشبه والاختلاف بين الوضعية الكلاسيكية والمحدثة:

أن الحقيقة لا نصل إليها إلا بالعلم وبالعلم وحده"، وذلك بالاعتماد على منهج وضعي في فهم المجتمع (وهي الملاحظة، التجربة، المقارنة، والاستدلال التاريخي)، إلا أنهم يختلفون معها في كونهم استبدلوا المنهج التاريخي عند كونت بالمناهج الإحصائية والرياضية، كما اختلفت المماثلات العضوية

التي قدمها كونت بما في ذلك ما أطلق عليه بالفيزياء الاجتماعية ليحل محلها اعتمادا متزايدا على المناهج الرياضية المستخدمة في علم الفيزياء الحديث.

بعض رواد الوضعيّة المُحدَثة:

- **جورج لندربرغ Lunndberg** (1895 ـ 1966 ويرى بأنّ كلّ العلوم الاجتماعيّة أو غير الاجتماعيّة هي بالضرورة أداة أو وسيلة تكيّفيّة.
- **أغبورن Ogburn** : سعى من خلال دراساته إلى الحصول على معاملات ارتباط بين المظاهر المختلفة للظواهر.
- **فرانسيس ستيوارت تشابين S. Chapin:** استعان بالاتّجاه التجريبي الذي يتميّز بدقّة المنهج التجريبي.

وعمومًا فإنّ الوضعيّين المحدثين يميلون إلى الاهتمام بالاتّجاه الوضعي الذي يسعى إلى تأكيد أنّ العلم وحده هو الذي يملك الحقيقة، كما يتّفقون مع **كونت** في اعتماد الملاحظة والاستدلال عند إجراء التحليل السوسيولوجي. كما توحد الوضعية المحدثة إلى درجة كبيرة بين الأساليب العلمية والتكميم والقياس.

المدرسة الماركسية:

الماركسية تيار سياسي وفكري ومنهج، ينسب لمدونة أفكار"**ك.ماركس**" وبدرجة أقل إلى "**ف.انجلز**"، وترتكز الماركسية سياسيا، على تحليل التاريخ والمشاركة في الحركة الواقعية لصراع الطبقات، من أجل الإحاطة بالنظام الرأسمالي، وتنبني مناهج التحليل الماركسي على دراسة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي. تحلل الماركسية المجتمع عبر ملاحظة الوضعية المادية، السياسية، الاقتصادية والاجتماعية، لكن هذه الوضعية تتنوع بحسب الزمان والمكان.

ـ مصادر المدرسة الماركسية:

أولا ـ الفلسفة الألمانية:

من أبرز رجالات الفلسفة الكلاسيكية الألمانية الفيلسوف "**هيجل**" (1770 ـ 1823)، والذي نظر إلى العالم الطبيعي والتاريخي والروحي بوصفه عملية، أي في حركة دائمة، وفي تغير دائم (عملية ديالكتيكية). و"**لوفيج فيورباخ**" (1804 . 1872) لعبت فلسفته المادية دورا هاما في وضع ماركس وانجلز للرؤية المادية.

ثانيا ـ الاقتصاد السياسي الانجليزي:

النظريات الاقتصادية التي وضعها كل من "**آدم سميث**" و "**ديفيد ريكاردو**"، واللذان أوضحت نظريتهما أهمية الأساس الاقتصادي لنشاط الناس، كما أوضحا أن تطور المجتمع يرتكز على التفاعل الاقتصادي بين الناس.

ثالثا ـ الاشتراكية الطوباوية:

ومن أهم رموزها "**سان سيمون**"، و "**فورييه**"، و "**روبرت أوين**"، والذين ركزت أفكارهم على مطالبتهم بضرورة انتشار الملكية العامة (الجماعية) والعمل الجماعي، بما يسمح بالقضاء على بؤس الجماهير.

بدأ "**كارل ماركس**" بدراسة الأوضاع التي كانت سائدة في بريطانيا في النصف الأول من القرن التاسع عشر، معتبرا إياها نموذجا عاما للبلاد الصناعية الرأسمالية. ومن خلالها استخلص نموذجا يفسر من خلاله تطور المجتمعات الإنسانية. واستند في دراسته على منهجية محددة تعرف بالمنهج الجدلي أو الدياليكتيكي؛ هذه المنهجية التي استوحاها من الفلسفة "**الهيجلية المثالية**" التي تدرس الأشياء كحقائق في حركة دائمة غير منقطعة، تقوم أساسا على مبدأ النفي.

3 ـ الفلسفة الجدلية:

وتعني أن القانون الذي يحكم الكون هو قانون الحركة والتغير المستمرين، وذلك على عكس فلسفة الثبات التي تعني أن السكون والاستقرار هما القانونان اللذان يحكمان الكون.

أسس الفلسفة الجدلية المادية:

- وحدة وصراع المتضادات (الأضداد): يرى ماركس أن كل شيء هو طبيعي، وأن كل ظاهرة تنهض على طرفين متعارضين، ومن المستحيل أن يضل هذان الطرفان في سلام، ولكن من المحتمل أن يتولد بينهما صراع، وهذا الصراع لا يقضي على وحدة الشيء أو الظاهرة، بل يؤدي إلى تغلب الطرف المعبر عن التقدم على الطرف الآخر، فيحدث التحول؛ وهذا هو السبيل إلى التطور، وبالتطبيق على الواقع السياسي، نجد أن المجتمع الرأسمالي يضم في آن واحد طبقتي البرجوازية والبروليتارية، وكل طبقة منهما تفرض وجود الطبقة الأخرى؛ وعلى الرغم من التعارض القائم بينهما، فإنهما يؤلفان وحدة النظام الرأسمالي.

- الانتقال من الكم إلى الكيف: وهو القانون الذي يعكس التطور لا بوصفه مجرد تغير سطحي للأشياء، بل باعتباره تغيرا جذريا يمس جوانبها الداخلية، بمعنى أنه يهتم بكيفية سير التطور، حيث يرى ماركس أنه عندما تتراكم التغيرات الكمية وتتزايد(من ناحية المقدار)، فإن التغير الكيفي (من ناحية الصفات) لا يلبث أن يتم والعكس صحيح. فمثلا إذا اختفت الملكية الخاصة وهي الكيفية الأساسية للنظام الرأسمالي، وحلت محلها الملكية العامة(النظام الاشتراكي)، فان نظاما جديدا يحل محل النظام الرأسمالي، والمتمثل في النظام الاشتراكي.

- نفي النفي: وهو القانون الذي ينص على أن التطور عملية صاعدة، أي ارتقاء من الأدنى إلى الأعلى، ومن البسيط إلى المعقد، ويكشف هذا القانون عن الاتجاه العام للتطور في العالم المادي. فتاريخ المجتمع الإنساني يتألف من حلقات نفي أو سلب النظم الجديدة للقديمة؛ إذ أن كل نظام جديد يقضي على النظام السابق له، فمثلا نجد أن مجتمع الرق قد قضى على المجتمع البدائي....إن مفهوم النفي لا يعني أن الجديد يقضي على القديم نهائيا، وإنما يحتفظ من القديم على أفضل ما فيه ويدمجه في الجديد ويرقيه إلى أعلى.

ويمكن أن نلخص مميزات المنهج الديالكتيكي الماركسي فيما يلي:

- ✓ النظر إلى الطبيعة بوصفها كلا موحدا ومتماسكا ترتبط فيه الموضوعات والظواهر ارتباطا عضويا فيما بينها.
- ✓ النظر إلى الطبيعة بوصفها في حالة حركة وتبدل مستمرين، وتجدد ونمو لا ينقطعان إذ ثمة دائما شيء ما يولد وينمو وآخر ينحل ويزول.

- ✓ النظر إلى سيرورة النمو بوصفها انتقالا من التبدل الكمي الخفي إلى التبدل الجذري الكيفي، والنظر إلى التبدل الكيفي بوصفه تبدلا ضروريا يحصل بقفزات ويسير أبدا إلى الأمام من القديم إلى الجديد ومن البسيط إلى المركب ومن الأدنى إلى الأعلى.
- ✓ النظر إلى الطبيعة وظواهرها من زاوية تناقضها الداخلي، أي النظر إلى جانبها السالب وجانبها الموجب، إلى ماضيها ومستقبلها، إلى ما يختفي فيها ويظهر، لأن مضمون النمو الداخلي هو صراع الأضداد ولأن كل شيء يخضع للظروف والزمان والمكان.

4 ـ المادية التاريخية:

ترتبط المادية التاريخية ارتباطا تماما بالإطار العام للمادية الجدلية، وتعتبر امتدادا طبيعيا وواقعيا لقضايا الدياليكتيك وفروضه. فإذا كانت المادية الجدلية تهتم بالوجود الموضوعي المستقل عن الوعي وبتطور العالم والقوانين العامة التي تحكمه، فإن المادية التاريخية تعنى بالوجود الاجتماعي كواقع اجتماعي مستقل عن الوعي الاجتماعي للإنسان وبتطور المجتمع وقوانينه، وبهذا تعني المادية التاريخية تطبيق المادية الجدلية على المجتمع ويعرفها "غليزرمان" بأنها النظرية العامة العلمية التاريخية التي تم استخلاصها من دراسة التكوينات الاقتصادية والاجتماعية، وهي في نفس الوقت منهج لتحصيل المعرفة".

5 ـ أهم المفاهيم الماركسية:

- **الأساس والبناء الفوقي:** يعني الأساس مجموع علاقات الإنتاج التي تشكل البناء الاقتصادي للمجتمع، أما البناء الفوقي فيعني مجموع الأفكار والتنظيمات والنظم.
- **قوى الإنتاج:** هي مجموعة الوسائل التي تساعد على إنتاج السلع المادية، وتضم أدوات الإنتاج والأفراد.
- **علاقات الإنتاج:** وهي العلاقات التي تنشأ بين الناس من جراء عملية الإنتاج والتبادل وتوزيع السلع المادية، وخاصة فيما يتعلق بكيفية تملك وسائل الإنتاج، كالأراضي والمباني والآلات مثلا.
- **أسلوب الإنتاج:** ومعناه الارتباط القائم بين قوى الإنتاج وعلاقات الإنتاج.

أسلوب الإنتاج= قوى الإنتاج + علاقات الإنتاج

ونشير إلى أن الماركسية المحدثة هو مصطلح يطلق على أولئك المفكرين المتمسكين بالماركسية التقليدية كما جاءت عند ماركس كإطار نظري ومنهجي، ولكنهم ينتقدونها في بعض الجوانب. وتبدو محاولة عبد الباسط عبد المعطي في تقديم تعريف إجرائي للماركسية المحدثة مهمة، حيث لخصها في النقاط التالية:

1) أن الماركسية الجديدة تسلم ابتداء بمفهومات الماركسية ومنطقها المنهجي، والقوانين العامة التي توصلت إليها.
2) أن الماركسية الجديدة تنطلق من الحقائق الجديدة التي يفرزها الواقع أو بعبارة أكثر دقة، تتعامل مع القوانين النوعية للتطور الاجتماعي.
3) أن الماركسيين الجدد يمكن أن يكونوا كل من التزم بالبندين الأولين وأتى بعد الرواد المؤسسين، وقدم إسهاما على طريق فهم الحقائق الجديدة، بشرط ألا يخرج عن الإطار العام المعرفي والإيديولوجي للنظرية.

المدرسة البنائية الوظيفية

حاولت النظرية البنائية الوظيفية تفسير الظواهر الاجتماعية من خلال ما يمكن أن تقدمه من أفكار حول كيفية عمل المجتمعات، ولماذا توجد المؤسسات والأعراف؟ والنظر إلى المجتمع باعتباره نسق في التوازن، وهذا النسق هو بناء منظم ومكون من عدد من الأجزاء المترابطة، ولكل جزء (أو نظام) من هذه الأجزاء وظيفة يؤديها للحفاظ على بقاء النسق وتوازنه.

أولا ـ معنى الوظيفية:

فالوظيفية تستخدم بمعنى: النشاط الاجتماعي، وفي كتابات أخرى كما تحدّث عنه ماكس فيبر تستخدم الوظيفية ككلمة مرادفة للمهنة أو العمل الذي يقوم به الفرد.

ويتساءل نيكولا تيماشيف: " ما هي الوظيفية"، ويجيب بأن هذا أمر تصعب الإجابة عليه، وهذا راجع إلى الاختلاف الكبير بين اصطلاحي " وظيفة" و "وظيفي" في علم الاجتماع والأنثروبولوجيا الثقافية كما تستخدم الوظيفية بمعنى رياضي، فهي تسير إلى مقدار أهمية متغير ما، تحدد بدورها مقدار أهمية

متغير آخر، وهذا ما ظهر في أعمال سوروكين، وهناك معنى آخر لهذه الكلمة " تتصل اتصالا وثيقا بموقف علم الاجتماع والانثروبولوجيا، إذ يستخدم للإشارة إلى الإسهام الذي يقدمه الجزء من أجل استمرار الكل، وهذا الكل قد يكون متمثلا في المجتمع والثقافة، فعلى الرغم من الاختلاف بين رادكيف براون ومالينوفسكي إلا أنهما متفقان على أن لب التحليل الوظيفي يمكن في دراسة الجانب الذي تلعبه"الفقرات الثقافية والاجتماعية" في المجتمع.

ومنه يمكن عرض جملة التحديدات المتعلقة بمفهوم الوظيفة الاجتماعية عند رواد مفكري النظرية البنائية الوظيفية كما يلي:

1 ـ دل قسم منها على العمل، وظهرت هذه الدلالة في كتابات ماكس فيبر.

2 ـ دل قسم منها على مفهوم الأنشطة الاجتماعية التي يمارسها الفرد في مركزه الاجتماعي.

3 ـ ذات دلالة رياضية للإشارة إلى وجود علاقة بين عامل متغير واحد مع عدة عوامل متغيرة أخرى وذات تأثير على قيمها.

4 ـ ذات دلالة اجتماعية كما ظهرت عند كتابات كارل منهايم الذي لاحظ أن الحقيقة الاجتماعية ما هي إلا وظيفة الزمان والمكان التي تحدث فيه، واستعمال الديمغرافيين الذين يرجعون ارتفاع أو انخفاض معدل الولادات إلى طبيعة المكانة الاقتصادية للفرد.

5 ـ ذات دلالة بيولوجية عضوية التي تشير إلى العملية العضوية التي تساهم في المحافظة على سلامة أفراد المجتمع وبقائهم، استعملها رادكيف براول.

ثانيا ـ ما هي البنيوية الوظيفية ؟

البنيوية الوظيفية هي رؤية سوسيولوجية ترمي إلى تحليل ودراسة بنى المجتمع من ناحية والوظائف التي تقوم بها هذه البنى من ناحية أخرى وللوظيفية ثلاثة أشكال.

1 ـ **الوظيفية الفردية:** وهي حاجات الفاعلين الاجتماعين والبنى الاجتماعية التي تظهر لتلبية هذه الحاجات.

2 ـ **الوظيفية العلاقانية:** وهنا يقع التركيز على آليات العلاقات الاجتماعية التي تساعد في التغلب على التوترات التي تمر بها العلاقات الاجتماعية.

3 ـ **الوظيفية الاجتماعية:** ويتم التركيز على البنى والمؤسسات الاجتماعية الكبرى وعلى علاقاتها ببعضها البعض.

ثالثا ـ البنائية الوظيفية؛ أصول الاتجاه، وأهم الرواد:

ويرجع أصول المذهب الحديث إلى "مونتسيكيو" وقد يمتد جذوره إلى كونت، حيث أكد كونت على دراسة الظواهر الاجتماعية في حالة التلازم في الوجود والذي أسماه الاستاتيكة الاجتماعية، ويندرج تحت ذلك قوله " جميع النظم الاجتماعية، والمعتقدات، والأخلاقيات التي توجد في مجتمع معين، ترتبط ارتباطا متبادلا فيما بينها، ولذلك فإنه ينبغي إذا أردنا تفسير إحداها، أن نكتشف أولا ذلك القانون الذي يحدد كيفية ارتباط هذه الظاهرة بجميع الظواهر الأخرى".

كما ساهم هربرت سبنسر ببعض الملاحظات الجديدة بالنسبة للمفهوم الوظيفي في دراسة المجتمع حيث بيّن نماذج تطورية المجتمعات تشبه النماذج العضوية،

ويتلخص رأي دوركايم فيما يلي:" عندما يكون هناك ضغط سكاني متزايد وتفاعل اجتماعي متزايد أيضا. يحدث تصدع في ضوابط المجتمع البسيط وزيادة في المنافسة، مما يهدد النظام الاجتماعي، ولكنه يمكن التقليل من حدة هذه المنافسة، أو التحكم فيها عن طريق إدخال المهام المتخصصة التي تجعل الناس أكثر اعتمادا على بعضهم البعض، وأكثر قدرة على تقبل الالتزامات المتبادلة".

مسلمات تحليل الظاهرة الاجتماعية من منطلق وظيفي:

على الرغم من التباينات بين روافد البنائية الوظيفية فإن هناك اتفاقا عاما حول المسلمات التي تنطلق منها أدوات تحليل الظاهرة الاجتماعية والتي يمكن أن نلخصها في النقاط التالية:

1 ـ يرى أصحاب هذا الاتجاه أن المجتمع هو نسق يتألف من مجموعة من الأجزاء المترابطة بنائيا ووظيفيا .

ـ الاتجاه فيه طبيعة متأصلة وليست مكتسبة فهناك ميل طبيعي وفطري للتكامل والتضامن والوحدة أي رفض الصراع.

ـ إذا كان التغيير أمرا حيويا ومطلوبا في داخل الأنساق الاجتماعية، فإنه يجب أن يكون تغيرا من أجل الاستقرار والتوازن، فهو لا يحدث بفعل الصراع .

ـ المحافظة على أسس التوازن الاجتماعي ودعمه وفي سبيل ذلك ظهرت مفهومات جديدة لمصطلحات تقليدية مثل : **التساند الوظيفي** أو **الاعتماد المتبادل والمستلزمات الوظيفية** وغيرها من المصطلحات المعقدة التي ترتبط بالبناء والوظيفة وتدور كلها حول محور وحيد ألا وهو محور القيم الأخلاقية.

أهم الأفكار التي تحدد ملامح هذا الفكر:

– الأهداف والغايات: النسق الاجتماعي يؤدي دوره في ضوء معنى معين، وهدف محدد فالعمليات التي تتم داخل النسق الاجتماعي تعمل من اجل إشباع حاجات الأفراد والمحافظة على بقاء النسق واستمراريته

ـ التكامل: إذا لم يحدث تكامل بين عناصر النسق وأجزائه يحدث خلل في أداء أعضاء النسق.

ـ الصراع الاجتماعي: الصراع حالة استثنائية تعبر عن مرض اجتماعي، والتوازن والتكامل هما الحالة الطبيعية التي تمثل النموذج الأمثل للنظام.

بعض المفاهيم الأساسية في التحليل البنائي الوظيفي:

- **النسق الاجتماعي(Social System):** النسق هو عبارة عن العلاقات المترابطة والمتساندة، فحينما تؤثر مجموعة وحدات وظيفية بعضها في بعض، فإنه يمكن القول أنها تؤلف نسق.
- **الوظيفة الاجتماعية(Social Function):** ويقصد بها الدور الذي يسهم به الجزء في الكل.
- **الوظائف الكامنة والوظائف الظاهرة:** الوظائف الظاهرة هي الأنشطة والممارسات التي تلعب أدوارا معروفة وتستهدف أهدافا واضحة وتخدم أغراضا اجتماعية جلية ومتصورة، في حين يشير مفهوم الوظيفة الكامنة أو الخفية إلى الأهداف التي قد تكون لا شعورية أو غير معروفة أو غير واضحة وغير مقصودة بالنسبة لأولئك الذين يمارسون نشاطا معينا.
- **البدائل الوظيفية Fonctional Alternatives:** يعني أن أي سمة أو عنصر ثقافي أو اجتماعي لا يعد ضرورة لا غنى عنها لمجرد وجوده، لأننا بذلك نتجاهل حقيقة هامة وهي أن نفس الحاجة

الفيزيقية أو الفيزيولوجية أو الاجتماعية يمكن إشباعها من خلال عناصر ثقافية أو اجتماعية مختلفة وقابلة للتبادل.

- **المعوقات الوظيفية:** وقد جاء بها ميرتون ليشير إلى تلك النتائج التي يمكن ملاحظتها والتي تحد من تكيف النسق أو توافقه.

المرجع: cte.univ-setif2.dz.